من إعداد: أحمد بن عبدالعزيز بنعبدالله

العلامة سيدي عبدالواحد بنعبدالله

في الذكرى الثلاثين لوفاته

بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاة فقيد العلم والعلماء العلامة المحدث الصوفي السلفي سيدي عبدالواحد بنعبدالله نقدم إلى قراءنا الأعزاء كلمة كان قد كتبها في حقه نجله العلامة الأستاذ الكبير عبدالعزيز بنعبدالله نشرها في كتابه "ذكريات حياتي" وهذا نصها:

****

والدي قد عرفته في صِبائي *** عالما جِهْبِذاً وَفير المَزَايَا

عُمْدَتي في مَسَانِدي و عُلُومي *** وَمُجِيزي مَواعِظا وَ وَصَايا

مُسْتَقِلٌّ في فِكْرِهِ نَافِذُ الرَّأْيِ *** حَكيمٌ مَقَاصِداً وَ نَــوايَا

قَدْ حَباهُ الإلاهُ عِزَّةُ نَفْسٍ *** فَانْبَرَى رائِداً خَديمَ البَرَايَا

أَنْهَلَ الشَّعْبَ رفدَهُ بِسَخاءٍ *** عَرَفَتْهُ جَوامِعٌ وَزَوَايَا

العلامة سيدي عبدالواحد بنعبدالله جالس بمحراب ضريح أبي المواهب سيدي العربي بن السائح

الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله

"والدي كما عرفته"

"كان لي صديقا ملتزما في وطنيته ضليعا في علمه بارعا في الموسيقى والشطرنج"

ولد الفقيه العلامة السيد عبدالواحد بن علي بنعبدالله سنة 1311هـ وتوفي سنة 1411 حيث عاش قرنا كاملا (حسب السنة القمرية) (أو 97 سنة تبعا للتاريخ الميلادي).

وكانت دراسته في الكتاب(المسيد ولعله تصغير مسجد) صورة للمنهج الذي يشكل منطلق الحياة الدراسية التأصيلية التي تتجلى في حفظ القرآن الكريم(بقراءة ورش) والمتون (أي النصوص التقعيدية للحديث والأصول والفقه وعلوم الآلة الاثني عشر كالعروض والنحو والصرف والبديع والبلاغة والبيان...) ثم تمتد لمن أراد استكمال دراسته – إلى حضور المجالس العلمية التي لم يكن يخلو منها مسجد من مساجد الحواضر وحتى البوادي أحيانا خاصة منها المراكز التي توافر فيها العلماء مثل ناحية (دكالة) التي أحصيت في ربوعها مائتان اثنتان من المدارس التي لا تزال الآن نماذج منها في (سوس).

وهكذا بدأ الفقيه الزاهد يواصل معظم الدروس التي كانت تلقى آنذاك على شيوخ في طليعتهم العلامة محمد المدني بن الحسني (في التفسير والحديث والآداب) والعلامة محمد السايح في (الفقه والأصول) وآخرون مثل عبدالرحمان بريطل والعلامة أبو حامد المكي البطاوري.

وكانت هذه الدروس ترتكز على ما حفظ الطالب في الكتاب من متون أهمها (ألفية العراقي) في علم الحديث و(الأجرومية) و(ألفية ابن مالك) في النحو و (لامية الأفعال) في الصرف و(لامية الشنفري) في الآداب و(المرشد المعين) و (رسالة ابن أبي زيد القيرواني) و (مختصر الشيخ خليل) في الفقه و(جمع الجوامع) في الأصول و(تحفة ابن عاصم) في القضاء الخ...

الفقيه في سن الثلاثين من عمره

ولم يكن هنالك ضبط دقيق للفصل بين الابتدائي والثانوي والعالي إذ كان حضور الطالب حرا يختار الصف الذي يلائمه معززا هذا الحضور الدؤوب باستشارة موصولة مع شيوخه الذين كانوا يتركون للطالب الحرية الكاملة في التنقل حسب استعداده من مرحلة إلى أخرى. وقد تبرز (ملكة) الطالب خلال الدروس من تناسب الأسئلة التي قد يعن له إلقاؤها على شيخه بقصد الإطلاع لا التعنت. وقد

واصل الفقيه المترجم دراسته المختلفة المناهل والمفاصل إلى أن شعر بعد أن واكب الثلاثين من عمره بنوع من الاستعداد لاتخاذ بادرة ينتظرها الشيوخ من تلاميذهم وهي تحملهم هم أيضا بادرة التدريس بدءا بشرح المتون الأولية كالمرشد المعين في الفقه والأجرومية في النحو ولا تظهر ملكة الطالب المعلم في هذه الدروس وحدها بل عند ختمها حيث ينظم حفل يحضره الشيوخ مع مختلف اختصاصاتهم يملي الأستاذ الجديد درسه خلال أربع ساعات على الأقل يستعرض جوانب الموضوع من كل جهاته(نحوا وفقها وعربية) مع محاولة الاستنباط من الأصول تنظيرا بين الآراء والمذاهب.

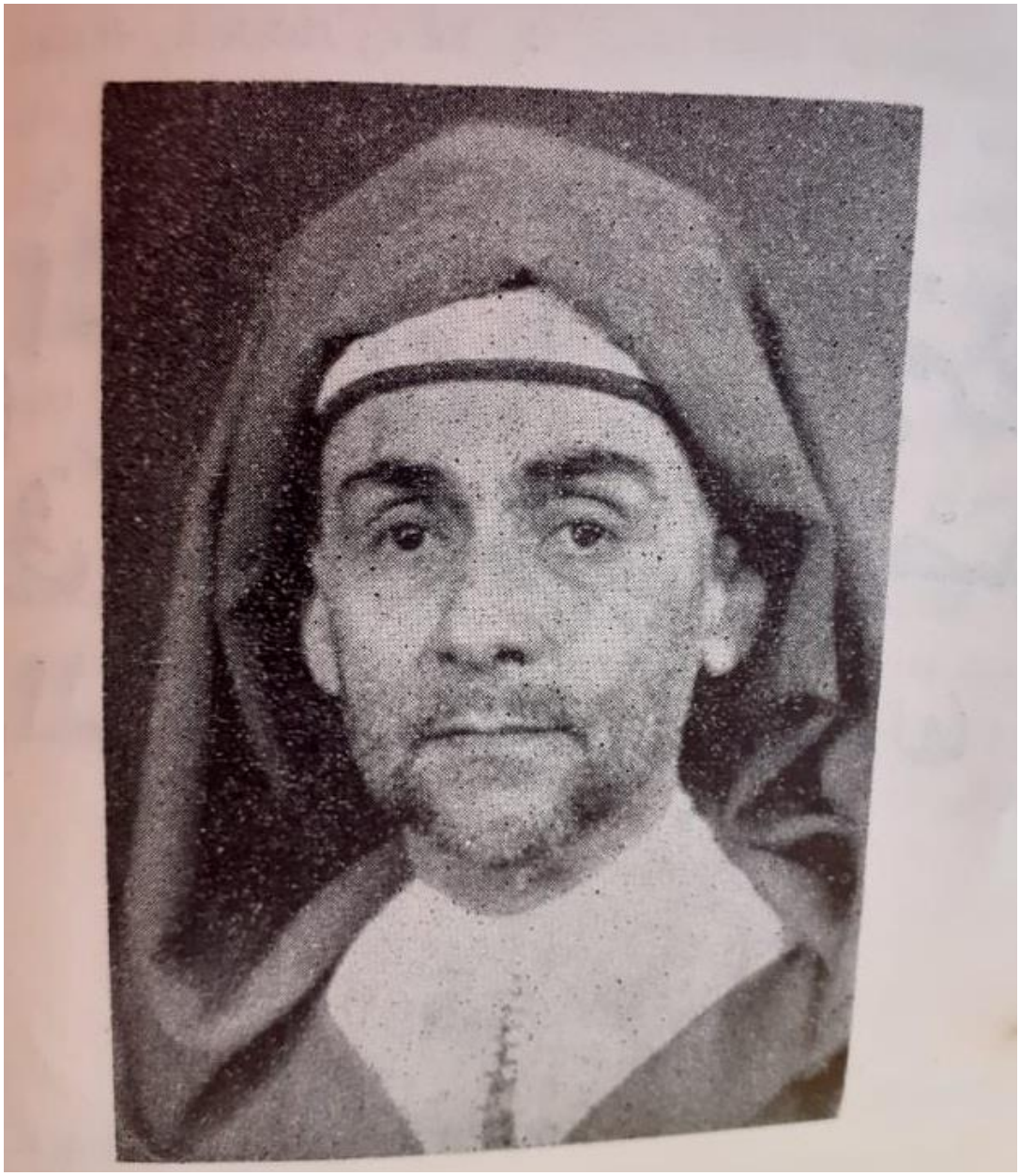

وهنا تبدأ مشيخة الطالب في تقدير ملكته العلمية في الاستيعاب والتنظير والاستنباط وضبط المظان فيستمنح منهم الطالب الأستاذ (إجازات) مكتوبة كل في اختصاصه فتكون هذه الإجازة عبارة عن

شهادة كفاءة نابعة من تجربة موصولة لا من امتحان ساعة. وكانت هذه الإجازات أول الأمر تستهدف تحقيق النصوص من خلال مخطوط لم يطبع. غير أن أهمية الإجازات تضاءلت بعد طبع هذه المخطوطات، فأمست مجرد ورقة لتسجيل السند ولو بالمراسلة وقد جمع مترجمنا بين المنهجين لأن معظم المخطوطات لم تكن مطبوعة في الأربعين من القرن الهجري المنصرم.

وكان التعليم مجانيا في الجوامع لأن المخزن كان يخصص في كل مدينة مرتبا لعلمائها من أربع طبقات ينتقى المعلم من الرابعة إلى الأولى وهي قمة السلم، وكان المرتب يختلف حسب المدن من (أربعة ريال) حسنية إلى (15) ريالا.

وفي جامعة القرويين كان ينظم حفل يحضره الأساتذة والطلبة، فيلقي كل أستاذ على الطالب المنتهي أسئلة من مختلف العلوم، فإذا وفق في أجوبته عينه القاضي في الطبقة الرابعة.

وكانت الدروس تواصل طوال الأسبوع عدا يومي الخميس والجمعة.

وهنا بدأ الفقيه المترجم - بعد اجتياز المراحل- يتصدى لتدريس الفقه والأصول والحديث إضافة إلى علوم الآلة وقد اختص بالحديث الذي كان ينطلق منه على غرار شيخه (محمد المدني بن الحسني) لتصحيح أنظار الفقهاء في تفريعاتهم راجعا بالأمة إلى السلفية المرتكزة على الأثر النبوي الصحيح. فكانت حلقاته الفسيفسائية لا تخلو من شروح وتعاليق على صحيحي (مسلم والبخاري) وكان يتحاشى تفسير القرآن تهيبا لجلاله لاسيما وأن شيخه (ابن الحسني) كان يتصدى لذلك عن جدارة.

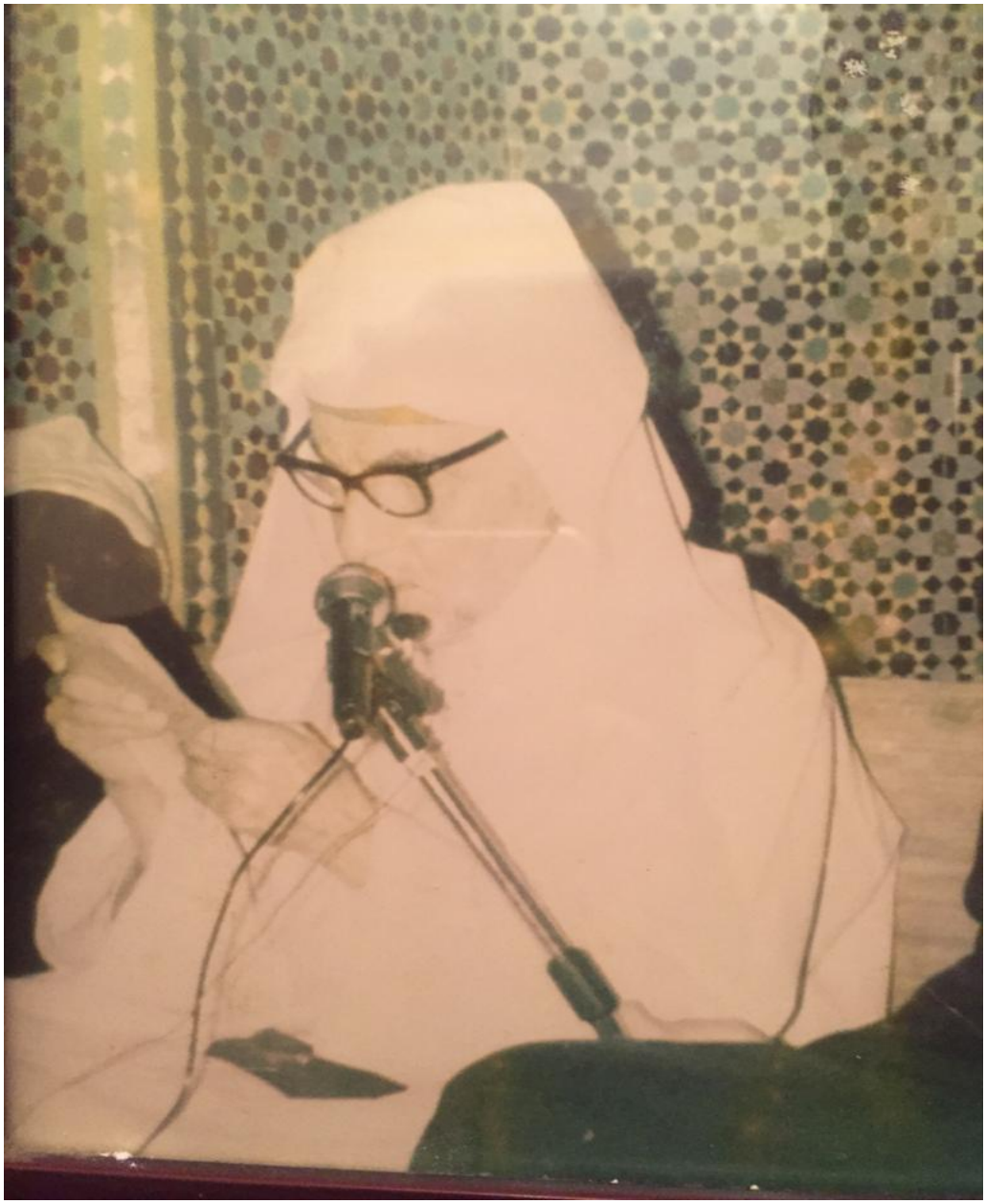

وكان يتحاشى أيضا الإفتاء إلا في حالات خاصة مخافة سوء فهم نظريته التي تحاط غالبا بملابسات تبعدها عن العموميات فكثيرا ما كان يسأل في أمر ما من طرف العامة فلا يكاد يجيب إلا بنص مكتوب محدد الأبعاد والشروط وهذا مظهر من تحرياته التي أهلته لأن يلقي دروسا في الحضرة السلطانية في العهدين المحمدي والحسني.

وقد امتاز الأستاذ عبدالواحد بنعبدالله بمواقفه الوطنية حيث كانت دروسه على مختلف المستويات حافلة بالتوعية الدينية والوطنية معا مما حدا سلطات الحماية إلى الزج به في غياهب السجن سنة 1952 حيث قضى أربعة أشهر ولكنه عاد بعد ذلك إلى استيناف أسلوبه في الحض على حمل القلم والسيف للدفاع عن الإسلام وعن الوطن وكان يضرب أروع الأمثال في الزهادة والقناعة فكان لا يقبل الهوادة في الدين ولا تأخذه في الله لومة لائم رافضا كل تزلف وكل هدية لا يراد بها وجه الله فكان في ذلك نموذجا يتردد إسمه بين الأسماء اللامعة في ميدان الاستقامة بمفهومها العملي المجرد عن كل تنطع وتزمت مراعيا ضرورة مسايرة العصر في الإطار الإسلامي الصحيح الداعي إلى اقتطاف ثمار الحسنيين: الدنيا والآخرة.

وقد تقلب المترجم في وظائف منها العدالة ثم عضوية مجلس الاستيناف الشرعي فالأعلى بالرباط حيث اشتغل عضوا مبرزا عدة سنوات إلى أن استقال من منصبه أوائل الأربعينات ليتفرغ لتدريس العلم فكان يرحل إلى فاس وطنجة وغيرهما لإلقاء دروس في جوامعها بتكليف من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

● تشهد رحاب ضريح مولاي الحسن الاول بالرباط اليوم درسا دينيا جديدا من سلسلة الدروس الدينية التي دشنها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني منذ ثالث رمضان الابرك وقد القى درس امس امام صاحب الجلالة فضيلة الاستاذ مولاي احمد العمراني شارحا حديثا نبويا كريما في موضوع مكارم الاخلاق)

وكان فضيلة العلامة الاستاذ عبد الواحد بن عبد الله قد حلل قول البارى عز وجل (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) عصر يوم الجمعة الماضي وقد حضر هذا الدرس الى جانب جلالة الملك رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية والاسلامية واعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول السيد محمد كريم العمراني وعدد من العلماء والقضاة وسامي الشخصيات المدنية والعسكرية ، بالاضافة الى الشيخ موسى امام المسلمين بالتشاد ومبعوث الرئيس طومبالباي لدى جلالة الملك

وكانت له مشاركة في فنون شتى فكان موسيقيا بارعا يتقن الطبوع الخمس والخمسين ويحفظ معظم أزجالها وموشحاتها من غزليات حاول تعويضها بالمديح وكان شيوخه في ذلك أقطاب الفن أمثال المطيري والجعيدي البريهي.

وقد أخذ عنه الفنان الموهوب مولاي أحمد الوكيلي كثيرا من الألحان والطبوع التي انفرد بها وكذلك جمعية هواة الموسيقى الأندلسية وعلى رأسها الحاج إدريس بن جلون التويمي.

الفقيه سيدي عبدالواحد بنعبدالله يشارك في الدروس الحسنية

وقد برع أيضا في فن الشطرنج فكان له بالرباط أول أمره مع زملاء مجلس خاص يتبارون خلاله بين بيادق هذا الفن الذي حداه إلى مزاولته إسهامه في تفتيح الفكر ومعقولية الاختيار وإلى جانب هذا وذاك تابع ما يجري في العالم الإسلامي منذ منتصف القرن الماضي الهجري فكان يلتهم كل ما يرد من الشرق من مجلات ودوريات كانت خزانته حافلة بسلسلاتها الكامنة فكان له (70) جزءا مثلا من (مجلة الأزهر) التي كان يديرها (الخضر حسين) ثم (فريد وجدي) وكان يسجل (الإفادات والإنشادات) النادرة في (وجادة) يستخلص منها صراع الفكر الإسلامي والفكر الأوربي المعاصر ولم

ينسه ذلك كله الانكباب على التأليف في مواضيع كانت في ذلك الإبان مثار جدال فصنف كتبا حول السيرة النبوية والاحتكام للقرآن والمسالك الدينية.